

الفتن البشرية وأساليب التعامل معها في نهج البلاغة

إبراهيم محمدزاده مزينان^١، رضا حق بناه*^٢، نرجس نجاتي^٣

تأريخ الاستلام: ١٤٤١/١١/١٠ تاريخ القبول: ١٤٤٢/١٢/١٨

١. الطالبة الماجستير في تاريخ وحضارة الأمم الإسلامية بالجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد، إيران

٢. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمي، طهران، إيران

٣. طالبة الدكتوراه في الدراسات الشيعية بجامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران

Human seditions and ways to deal with it in Nahj-ul-Balagha

Ebrahim Mohammadzade Mazinan¹, Reza Haghpanah*², Narges Nejadi³

Received: 2020/07/02

Accepted: 2021/07/29

1. M.A. student in the history and civilization of Islamic nations, Razavi University of Islamic Sciences, Mashhad, Iran.

2. Assistant Professor of Quranic and Hadith Sciences at Razavi University of Islamic Sciences, Mashhad, Iran

3. Ph.D. student in Shiite studies at the University of Religions and Sects, Qom, Iran

10.30473/ANB.2022.53880.1215

Abstract

Social destructive phenomena appear in different forms and have different factors. Among these factors is political chaos and turmoil, which is interpreted as "human seditions". Such seditions cause the deviation of society and endanger its mental health. During the time of the Amir al-Mu'minin, human seditions spread from all sides and he tried to shine light on the invisible angles of all kinds of seditions and remove the mask from their faces. Therefore, the purpose of this study is to study the orders of the Amir al-Mo'menin (AS) and practical strategies to deal with human seditions. This research, which has been written in a descriptive-analytical method, can explain human sedition in "Nahj-ul-Balagha", differentiate between seditions with a historical perspective, and also introduce the centers of human sedition, examples, tools and ways to deal with this problem. Be path-breaking. The results show that Imam Ali (AS) had several human seditions and that Imam in speech and action determined the way out of these seditions. The importance of the subject under study in explaining human sedition is to provide objective examples and strategies to deal with it.

Keywords: Imam Ali (AS), Nahj-ul-Balagha, Human Sedition, Examples of Sedition, Riots of the Alawite Era.

الملخص

إنّ الظواهر الاجتماعية المدمرة تظهر بأشكال مختلفة ولها أسباب مختلفة. ومن بين تلك العوامل الفوضى والاضطراب السياسي والذي يعبر عنها بـ «الفتن البشرية». فهذا النوع من الفتن يسبب انحراف المجتمع ويعرض صحته النفسية للخطر. وأما في زمن أمير المؤمنين (ع) انتشرت الفتن البشرية من كل حدبٍ وصوب، وحاول تسليط الضوء على الروايات الخفية لكل أنواع الفتن وإزالة النقاب عنها. فلذلك فإنّ الهدف من هذه المقالة دراسة كلام أمير المؤمنين (ع) والطرق العملية للتعامل مع الفتن البشرية. ويمكن لهذا البحث الذي كُتب بمنهج وصفي - تحليلي أن يبيّن الفتن البشرية في «نهج البلاغة» ويفصل الفتن من منظور تاريخي، كما يستعرض مراكز الفتن البشرية وأمثلتها وأدواتها وطرق التعامل مع هذه المشكلة. فتبيّن النتائج أنّ الإمام علي (ع) قد واجه العديد من الفتن البشرية، وقد حدد بكلامه وعمله سبل الخروج من تلك الفتن. وتكمن أهمية الموضوع الذي بين أيدينا في شرح الفتن البشرية وتقديم أمثلة موضوعية لها، وطرق التعامل معها. الكلمات الدلالية: الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، الفتنة البشرية، أمثلة على الفتنة، أعمال الشغب في العهد العلوي.

المقدمة

حاولت الباحثة بالاستعانة بتعاليم الأمام علي (ع) حول طبيعة الفتنة وسبل مواجهتها، تقديم طرق لحماية المثل العليا للثورة، وفي النتيجة فقد أشارت في مقالتها إلى الفتنة البشرية فقط. ومقال «الفتنة في نهج البلاغة؛ دوافعها وسبل مواجهتها» (١٣٩٣) للباحثة بتول علي والتي أشارت فقط إلى دوافع الفتنة وسبل مواجهتها. «سبل تجنب دوامة الفتنة من منظور نهج البلاغة» للباحث فرزاد دهقاني (١٣٩٤) حيث قام الباحث بالاستناد إلى استراتيجيات تجنب الفتنة بدراستها في ثلاثة مجالات؛ اجتماعية وأخلاقية وسلوكية. لذلك كان تركيز تلك المقالة منصباً على الحلول وتصنيفها. مقالة «معرفة الفتنة وسبل مواجهتها في كلام الامام علي (ع)» للباحث محمدشريفاني (١٣٩٦) حيث قام الباحث بدراسة كلمات اميرالمؤمنين (ع) من منظور الفتن الاجتماعية وأشار إلى سياقات إيجاد الفتن. والفرق بين هذا البحث وكل ما تم ذكره من مقالات يكمن في الشرح التفصيلي لطبيعة وأمثلة الفتنة البشرية، وكذلك تقديم الأدوات والسبل حسب معاني الفتنة البشرية التي يجب أن تحظى بمزيد من الاهتمام.

مفهوم الفتنة

كلمة «الفتنة» لها وجوه ومعاني مختلفة. قال البعض: «الفتنة تعني الإحراق، وشيئ فتن يعني حارق» (ابن فارس، بلا تاريخ: ٤/٤٧٢، الفراهيدي، بلا تاريخ: ٨/١٢٧). يقول ابن منظور: «جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتنْتُ الفضة والذهب إذا ذوّبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد» (ابن منظور، ١٤٠٣: ١٣/٣٢٦). كذلك: «وردت الفتنة في عدة معان: ١- إدخال الذهب في النار لفصل نقيته من شائبه؛ ٢- دخول الإنسان ووروده بنفسه في النار: «يوم هم علي النار يفتنون»؛ ومثل «ذوقوا فنتنكم»، يعني ذوقوا عذابكم. ٣- وسيلة للعذاب: «الا فتنه سقطوا» ٤- اختبار: «وفتناك فتوننا»، كلمة البلاء أيضاً بنفس المعنى، وكلا الكلمتين تستخدمان في اليسر والعسر، ولكن استعمالها في الشدة أكثر؛ ففي الآية: «ونبلوكم بالشر والخير فتنه»، استُخدمت في كلا

من المواضيع الهامة والشاملة والمطروحة في «نهج البلاغة» موضوع «الفتنة»، جوانبها وأنواعها. «الفتنة» تعني أحياناً «الابتلاء والامتحان» وهي من السنن الإلهية الدائمة التي لا مفرّ منها؛ لأنّ الله دائماً يختبر عباده، الصالح منهم والظالم، بمختلف أنواع الامتحانات حتى يصل من ينجح في ذلك إلى الكمال والسعادة؛ وكثيراً ما وصف القرآن الكريم هذه السنّة بكلمات «الفتنة» و«البلاء» (على سبيل المثال: العنكبوت/٣ و٢؛ البقرة/١٥٥؛ التوبة/١٢٦؛ آل عمران/١٥٤؛ الأعراف/١٦٨؛ محمد/٣١). كما ورد هذا المفهوم في نهج البلاغة بعبارات مختلفة (على سبيل المثال: نهج البلاغة: الحكمة ٩٣، الخطبة ١٠٦، ١٤٤، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٢، الرسالة ٥٥). وأحياناً بمعنى «الشغب والفوضى» التي يقوم بها مثيروا الفتن والانتهازيون، ومن خصائصها لبس الحق بالباطل والاضطراب؛ وقد استهجنها القرآن ونهج البلاغة بشدة ودعيا الأمة الإسلامية إلى توخّي الحذر منها (على سبيل المثال: القرآن الكريم: البقرة/١٩١ و٢١٧؛ آل عمران/٧؛ المائدة/٤٩؛ الأنفال/٢٥؛ التوبة/٤٩؛ النساء/١٠١؛ ونهج البلاغة، الخطبة ١٠١، ١٢١، ١٤٥، ١٥٦، ١٦٤، الحكمة ١). والفتنة بالمعنى الثاني هي موضوع هذا المقال.

أهمية وضرورة البحث

علم الفتنة من معارف نهج البلاغة العميقة والمؤثرة لأنّ هذه الظاهرة ليست خاصة بمجتمع أو وقت معين. جذور الفتنة وسبل محاربتها متشابهة في جميع الأوقات لذلك من الضروري أن يتعرّف المجتمع الاسلامي على الفتنة البشرية حتى لا يقع في شرك الفتنة.

خلفية البحث

حتى الآن تمت كتابة العديد من الدراسات حول الفتنة من منظور الامام علي في نهج البلاغة، والتي أشارت بشكل أساسي إلى الدلالات والأدوات والاستراتيجيات لمواجهة الفتنة. من أهم الأعمال المكتوبة في هذا الباب مقال «منشأ الفتنة وسبل مواجهتها من منظور نهج البلاغة» تأليف صديقه نيك طبع (١٣٩١) حيث

والخطأ، لكنّ الفتنة الإلهية توضع أمام الإنسان من أجل معرفة الحق والوصول إلى السعادة. لذلك فإنّ خصائص هاتين الفتنتين هي:

(أ) **الفتنة الإلهية:** إنّ الله فاعلها وأحد ضرورات الحياة البشرية، فهو دائماً إيجابي. عند عزو الفتنة إلى الله ينبغي الحديث عن كلمة امتحان. عندما يتحدث القرآن عن الفتنة والابتلاء، فإن روحها جميعاً أنّ الله تعالى يهيء الأرضية للناس ليكونوا على مفترق طرق ومسارات متعددة ويختارون طريقاً واحداً. هذه هي حقيقة الامتحان والفتنة والابتلاء والغرض من خلق الإنسان في هذا العالم.

لذلك فإنّ الممتحن الحقيقي هو الله، والممتحن هو الإنسان، ولكن حالات الامتحان تختلف باختلاف عبارات القرآن الكريم. في مجموعة من الآيات نسب الله تعالى الامتحان إلى نفسه، وفي فئة آخر نسبة إلى البشر (البشر أوجدوا الفتنة)، ولكنّ الغرض منها جميعاً هو توفير الأرضية لاختيار الإنسان، فالأمر متروك لهم لتطوير مواهبهم واختيار الطريق النهائي. إذاً الممتحن الله والممتحن الإنسان وأدوات الامتحان: جميع القوى والإمكانات المادية والمعنوية؛ مكان وزمان هذا الامتحان: من بداية العمر حتى نهايته. الهدف منه: تمييز الخبيث من الطيب: ﴿حَتَّى يَمَيِّرَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران/١٧٩)، نتيجة ذلك في حال النجاح: الفلاح والسعادة الأبدية، عنصرها الأساسي: الامتحان وتحفيز الشعور بالبحث عن الحقيقة عند مفترق الطرق واختيار الأصلح. وعليه، فإن استخدام كلمة الفتنة لله تعالى يقوم على الامتحان الإلهي، تماماً كما كان الاختبار الإلهي لأنبيائه وأوليائه المخلصين، مما يدل على الاستخدام الإيجابي لهذه الكلمة بالنسبة لله.

(ب) **الفتنة البشرية:** لقد خلق الله هذا العالم بحالة خاصة. إن حالة حياة الإنسان من النوع الذي تنشأ عنه مطالب متضاربة، ويقع على مفترق طرق، وأحياناً يتردد أيّ طريق يختار. هذه الحالة هي الفتنة. لكن هذه الفتنة تارة بين اختبار ما هو حلال وحرام، وهو نفس الامتحان الذي حذر أنبياء الله من غموضه. فئة أخرى من الفتنة

المعنيين (راغب اصفهاني، ١٤٠٤: ٣٧١).

ذكر الشيخ الصدوق للفتنة عشرة معاني؛ معظمها من مصاديق الفتنة: الضلال، الامتحان، الحجّة والاستدلال، الشرك، الكفر، الإحراق بالنار، عذاب الآخرة، القتل، الوقاية والمحنة (الشيخ الصدوق، د. تأ: ٣٨٦). وجاء السيوطي بأربعة عشر معنى للفتنة، وهي في بعض الأحيان منسجمة مع تلك التي ذكرها الشيخ الصدوق؛ وزاد على معاني الفتنة معاني الضلال والاعتذار، والحكم والذنب، والمرض والعبرة والجنون (السيوطي، ١٤١٩: ١/٥١٢-٥١٣).

نظراً إلى أن بعض علماء اللغة قد اعتبروا أصل كل هذه المعاني شيئاً واحداً من حيث الجمع بين المعاني والاستخدامات المختلفة لكلمة الفتنة في اللغة العربية، وهو عبارة عن «ما يوجب اختلالاً مع اضطراب» (مصطفى، ١٣٦٨: ٢٢-٢٧)، من ناحية أخرى، تستخدم الفتنة في اللغة الفارسية في الغالب بخصوص الامتحان والتضليل والشغب بين الناس (عميد، ١٣٧٥: حرف «الفاء»)، من بين المعاني المختلفة المذكورة فإن مقصود المؤلف من الفتنة البشرية؛ الشغب، إيجاد انعدام الأمن والفوضى وإحراق القيم الإنسانية الأصيلة. لذلك يمكن تحيّل أنّ «الفتنة» في الأساس بمعنى التذويب والتسخين، ثمّ بحكم كونها ملازمة للاضطراب فقد نُقلت إلى هذا المعنى، وتدرجياً أصبحت تُستخدم للاضطرابات النفسية والتوترات والاضطرابات الاجتماعية وأمثال ذلك.

أنواع الفتنة

في بعض الأحيان عند استخدام بعض المفاهيم والكلمات، ومن أجل الاقتراب من الفهم يتعين على المرء تحليل الكلمات. في غضون ذلك فإنّ كلمة الفتنة تحتاج إلى تفحص أيضاً. تُستعمل كلمة الفتنة للإنسان والله أيضاً. إنّ فهم الفرق بين هذين الاستخدامين يفتح الطريق أمام فهم الفتنة البشرية، لأنّ الفتنة لها انتشار واسع في دائرة حياة الإنسان، وشرح الاختبارات الإلهية بالفتنة البشرية سينقذ الإنسان من الهلاك

في الحقيقة أجواء الفتنة هي أجواء مغبرة، وفي نفس الوقت يصعب على الكثير من الناس التمييز بين الصواب

تظهر على يد البشر، والله لا يوجدها أو يخلقها بشكل مباشر. هذه الفئة هي فئمة اجتماعية بالأساس. أحياناً تكون الفتن التي من صنع الإنسان أكثر تعقيداً ويصعب جداً فيها التمييز بين الحق والباطل في هذه الامتحانات أولاً يجب على الإنسان السعي حتى لا يقع في الفئمة.

طبيعة الفئمة البشرية وأمثلةها

تحدث علي (ع) عن الفتن البشرية بطريقتين يمكن على أساس ما تحقيق معايير التمييز بين هذا النوع من الفئمة.

أ) الخطوط العامة وطبيعة الفئمة البشرية

في هذا النوع من العبارات، شرح وبين خصائص الفئمة وخطوطها العريضة وطبيعتها دون تسمية شخص أو مجموعة معينة؛ مثل:

١. التشبيه بالحقيقة

الفئمة البشرية تشبه نفسها بالحق، وتجعله جزءاً من طبيعتها، تماماً كما أشار الإمام: «إِنَّ الْفَيْتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ تَبَّهَتْ يَنْكُرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَيَعْرِفْنَ مُدْبِرَاتٍ يُحْمَنَ حَوْمَ الرِّيحِ يَصْبِنَ بَلْدًا وَيُخْطِئُ بَلْدًا» (نهج البلاغة، الخطبة ٩٣).

الفئمة شبيهة بالحق. وقد حذر القرآن من التمسك بالشبهات: «أَلْقِدِ ابْتَغُوا الْفَيْتَنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلِّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ» (التوبة/٤٨). «معظم البدع والمذاهب الفاسدة التي ظهرت بعد رسول الله ﷺ - سواء في المعارف أو حول فروع الأحكام - وحرقت الكثير من المسلمين، كانت نتيجة اتباع الآيات المتشابهة من القرآن وبعض التأويلات التي قدموها من عندهم لمثل هذه الآيات، وهي تأويلات الله برىء منها. ... والآن يمكن القول بكل تأكيد أن كل الفتن والحن التي حلت بالإسلام والمسلمين ليس لها مصدر سوى اتباع «المتشابهات» (الطباطبائي، ١٤١٧: ٤٣/٣-٥٧).

٢. إيجاد شبهه

لفتن تخلق الشبهات معها وتظهر الحرام حلالاً. لقد أصبحت الشبهة جزء من طبيعة الفئمة البشرية. كما قال علي (ع) ردّاً على شخص سأل عن الفئمة، فقال: إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُوحَانَهُ قَوْلُهُ - الْم أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا

أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ عَلِمْتُ أَنَّ الْفَيْتَنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفَيْتَنَةُ الَّتِي أَحْبَبَكَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِهَا فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيَفْتَنُونَ بَعْدِي... وَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيَفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَيَمْنُونُ بِدِينِهِمْ عَلَيَّ رَحِمَهُمُ وَيَتَمَنُونَ رَحْمَتَهُ وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ وَيَسْتَحْلُونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ فَيَسْتَحْلُونَ الْحُمْرَ بِالنَّبِيذِ وَالسُّحْتِ بِالْهَدْيِ وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَيَأْيِ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أَمْ يَمْنَزِلُهُ رَدُّهُ أَمْ يَمْنَزِلُهُ فَيْتَنُهُ فَقَالَ يَمْنَزِلُهُ فَيْتَنُهُ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦). وقد اعتبر علي (ع) أن من صفات المنافقين التمسك بالشبهات والتمويه: المنافقون... يثولون فَيَشْبَهُونَ وَيَصِفُونَ فَيَمَوْهُونَ. قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ فَهُمْ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ وَحُمَّةُ النَّيْرَانِ» (نفس المصدر، الخطبة ١٩٤). لذلك فإن النفاق من صفات الفئمة البشرية. إذا تأملنا في كيفية انتشار الفساد والشذوذ في الأمة الإسلامية لوجدنا أن الفئمة بدأت بالشؤون الاجتماعية، ثم انتشرت إلى العبادة، وأدت في النهاية إلى رفض التعاليم الإسلامية. كل هذه الفتن كانت من جهة اتباع المتشابهات وإرادة تأويلها، وقد استمر هذا العمل المنحرف إلى يومنا هذا (الطباطبائي، ١٤١٧: ٥٨/٣-٥٩). يقول علي (ع): «لِكُلِّ ضَلَّهِ عِلَّةٌ وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبُهَةٌ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٤٨).

٣. الاختلاط بالباطل

الفئمة البشرية مرتبطة بالباطل وهي تشبه الحق. عندما كان علي (ع) ينصح عثمان الذي كان متأثراً بأمثال مروان بن الحكم، أزا حالستار عن الفئمة وقال: «وَأَيُّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُفْتَنُونَ فَإِنَّهُ كَانَ يَقَالُ يَقْتُلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامًا يَقْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقَتَالَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَلْبَسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَيُبْتُ الْفِتَنَ فِيهَا فَلَا يَصْرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ يُمُوجُونَ فِيهَا مَوْجًا وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرَجًا» (نفس المصدر، الخطبة ١٦٤). اعتبر الامام علي (ع) بعد قتل الخليفة أن لبس الحق بالباطل فئمة، وهذا يُظهر طبيعة الفئمة.

يعتقد البعض: «كانت مشكلة علي (ع) الأولى أنه قال أماننا مستقبل غامض للغاية، كانت قصة مقتل

واحد وشعار واحد؛ إقامة العدل ورد الحق (نفس المصدر، الخطبة ١٥، ٣٧، و١٣١). وهذه الصرامة مأخوذة من التعاليم القرآنية حيث تقول:

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْفُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة/١٩١)، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ لَا تَكُونُ فِتْنَةً﴾ (البقرة/١٩٣)، لأن مثل هذه الفتنة تهدد الحياة المادية والمعنوية للبشر، ومثيروا الفتنة خرجوا عن حدود البشرية وأصبحوا حيوانات مفترسة. فمحاربتهم تنقذ أرواح البشر، وإذا لم يكن هنا كمحاربة لهم فستحرق الفتنة الصالح والطالح. ﴿وَاقْتُلُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال/٢٥). إذا أخفق المجتمع في أداء رسالته، ترتب على ذلك الفوضى وخرق القانون وسيحترق بناه الجيد والسيء. ومعنى هذا التحذير أنه يجب على خيار المجتمع عدم السكوت عن الأشرار وإلا فإنهم ما روي عن رسول الله ﷺ سيشاركوهم في مصيرهم عند الله (مكارم شيرازي، ١٣٧٤: ١٣١/٧).

٢. الأمويون أسوأ فتنة بشرية في العالم الإسلامي

الأمويون هم من لعبوا بعد النبي ﷺ دوراً قوياً للغاية في انحراف المجتمع الإسلامي، سواء في السيطرة على الحكم، أو في اغتصاب مؤسسة الدين وتفسيرها، حيث كانت المنابر والمساجد ومراكز الدعوة في أيديهم، كما كان عمال الحكومة جميعهم أمويون، وكانت اقتصاداتهم القوية تدعم أهدافهم الشائنة. لهذا السبب وصف علي (ع) فتنهم بأنها أسوأ فتنة بشرية:

«وَإِنَّ أَحْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمِيَّةٍ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ حُطَّتْهَا وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَاصَابَ الْبِلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَأَخْطَأَ الْبِلَاءُ مَنْ عَمِيَ عِنْدَهَا وَإِيْمُ اللَّهِ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمِيَّةٍ لَكُمْ أَرْيَابَ سُوءِ بَعْدِي.. لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَبْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ وَلَا يَزَالُ بِلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارَ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحَبِهِ تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ حُشْبِيَّةٍ وَقِطْعًا جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدًى وَلَا عِلْمٌ يَرَى..» (نهج البلاغة، الخطبة ٩٣).

عثمان... كان علي (ع) ضد أسلوب عثمان، وفي الوقت نفسه حاول حتى لا يفتح باب قتل الخليفة وإلا سينفتح باب الفتنة على المسلمين... والعجيب للغاية أنه كان لبعض أنصار عثمان يد في مقتله؛ كانوا يربون قتل عثمان وأن تحدث فتنة في العالم الإسلامي وأن يصطادوا في هذا الماء العكر» (مطهري، ١٣٨١: ١٦/٥٩٤-٥٩٥).

ب) أمثلة على الفتنة البشرية

في هذا النوع من الكلام يشير أمير المؤمنين إلى الأمثلة الواضحة عن الفتنة البشرية، ويذكر البعض صراحة وعلناً كأصحاب الفتنة، وهذا بالطبع يظهر ويفضح مثيري الفتنة، لأن أفضل طريقة للقضاء على الفتنة هي التوعية حتى لا يقع الناس في فخ الفتنة.

١. طلحة والزبير

لدى الامام كلام كثير في التعريف بمهؤلاء المفرطين أصحاب الفتن؛ ومنها: «اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ شُرَكَاءَ فَبَاضَ وَقَرَّحَ فِي صُدُورِهِمْ وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَظَنَّرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَكَرَبَ بِهِمُ الرَّكْلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ فَعَلَّ مَنْ قَدْ شَرِكُهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِيهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَيَّ لِسَانِهِ» (نهج البلاغة، الخطبة ٧).

وقد وصف الامام علي (ع) هذان الشخصان على أنهما ناكثان بالعهد وحزب الشيطان، وهم أنفسهم قتلوا عثمان والآن يطالبون بدمه، وهم من أبقوا زوجاتهم في بيوتهم وحملوا معهم زوجة الرسول إلى أبعد مناطق بلاد المسلمين ليكون لهم وجه مبرر وقانوني (انظر: نهج- البلاغة، الخطبة ١٠، ٣١، ١٣٧، ١٧٢، الرسالة ٥٤، الحكمة ٢٠٥؛ ملكي، ١٣٨٠: ٤٤/٩؛ الهامي، ١٣٧٤: ١٠١).

لقد خاض الامام علي (ع) ثلاثة حروب أهلية مهمة فرضتها عليه ثلاثة مراكز للفتنة (الناكثين والقاسطين والمارقين)، لكنهم جميعاً كانوا مشتركين في شيء واحد: التنافس على طلب الدنيا (نهج البلاغة، الخطبة ٣)؛ وإن الامام كان له في الجبهات الثلاث سيف

١. أشار علي (ع) إلى موضوع قتل عثمان في أربعة عشر موضع من نهج البلاغة.

الخطب: ٤٠، ٥٩، ٦٠، ٦١، ١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٨٤؛ والرسائل ٧٧ و ٧٨) وبمنطقه البليغ أوضح خطوطهم المنحرفة حتى لا يقع الآخرون فيها. لقد وصفهم اميرالمؤمنين (ع) بأهم «جُفَاءَ طَعَامٍ وَعَبِيدٌ أَقْرَامٌ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَتُلْقَطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ؛ وَمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ وَيُعَلَّمَ وَيُدْرَبَ» (نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٨؛ الخوئي، ١٣٨٠: ٧٢/٧-٧٣؛ عاملي، ١٣٨٠: ٩/٢٣١) وبما أنّ بلادهم قد عظم، قام الامام بعمل «لا يجزؤ عليه الآخرون»، باستصالحهم: «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِي عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَآجَ عَيْبُهَا وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا» (نهج البلاغة، الخطبة ٩٣).

كتب بعض العلماء أنّ هذا المقطع يشير إلى حربه التاريخي مع الخوارج (ابن ابي الحديد، ١٣٧٨: ٥٧/٧؛ المجلسي، ١٤٠٣: ١١٦/٣٤؛ مطهري، ١٣٨١: ١٦/٣١٩؛ محمدي ري شهري، ١٤٢٥: ١٠/٥ و ٦/٢٥٨)؛ إنّ عبارة «عين الفتنة» هي استعارة لقمع فتنة الخوارج الذين خلطوا الباطل بالحق، وقد جذبوا الكثير من المتدينين وفاقد البصيرة إلى هدفهم الذي يبدو بظاهره مقدساً وذهبوا لنشر فتنة الخوارج جني ميع أنحاء العالم الإسلامي، وتسببوا بحروب دموية.

لكنّ الإمام برويته الحادة والثاقبة قرأ ما وراء كواليس فتنة الخوارج وقضى على تلك الفتنة الهشة إلى الأبد. لقد جاءت فتنة الخوارج بمظهر جذاب وجميل بحيث هزت قلب كل مؤمن بلا بصيرة. فالخوارج وعلى الرغم من تلوثهم الداخلي وحمقتهم، كان لهم ظاهر مزين، حتى أنهم في بعض الأحيان كانوا يولون أهمية للواجبات والمستحبات الصغيرة. لذلك كان الكثير من الساذجين مترددين في محاربتهم. لكنّ الامام على (ع) لم يشك للحظة في أنهم كانوا على خطأ.

أدوات الفتنة البشرية

الفتنة البشرية ظاهرة اجتماعية بما اضطراب وفوضى،

يعتقد ابن أبي الحديد أن الإمام كان على حق، وإن بني أمية كانوا سادة سيئين للمجتمع، وكان عملهم القتل وإعدام خصومهم والنهب والنفي (ابن ابي الحديد، ١٣٧٨: ٥٥/٧). نشر الأمويون الفتنة في جميع أنحاء العالم الإسلامي بطرق مختلفة، واستحقوا أن يكون مثلاً لأسوأ فتنة بشرية. من سمات فتنة بني أمية يمكن الإشارة إلى ظلمهم واضطهادهم لأهل العالم الاسلامي خلال فترة حكمهم، وهو أمر قلّ نظيره في تاريخ البشرية. حيث تم إحياء قيم الجاهلية، واستبعاد الصالحين من ساحة المجتمع أو القضاء عليهم، وخنقت أصوات المطالبين بالحق في مهدها، ولم يرحموا إلا من كان نافعا لهم، واستعبدوا الكثير من المسلمين ووضعوا على أعناقهم نير العبودية (شوشترى، ١٣٧٦: ١٠٦/٧٦).

قدّم الامام على (ع) تاصيل عن ابن أبو سفيان (معاوية) بصفته مثال واضح على الفتنة، وأنّ أحداثاً مرعبة تنتظر أهل العراق من الفتنة البشرية، حتى يتسنى للناس الاستعداد ويكونوا على دراية بالمخاطر فيتمكنوا من تجنبها: «لَكَأَيِّ أَنْظُرُ إِلَيَّ ضَلِيلٌ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كَوْفَانَ فَإِذَا فَعَرَّتْ فَأَغْرَتْهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ وَثُمَّلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأَّتُهُ عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أُنْبَاءَهَا بِأُنْيَائِهَا وَمَآجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُّوْحُهَا وَمِنْ اللَّيَالِي كُدُوْحُهَا فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ وَهَدَرَتْ شَقَائِشُهُ وَبَرَقَتْ بِوَارِقُهُ عَقَدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضَلِ وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَالْبَحْرِ الْمُتَلَطِّمِ...» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠١). تشير جملة «عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أُنْبَاءَهَا» إلى أنّ تلك الفتنة والشغب لن تترك حتى مثيري الفتنة! فهم أيضاً سيختلفون فيما بينهم بسبب الخلافات الداخلية، وعلى أي حال فإن أجواء العالم الإسلامي ستكون مظلمة، وكبار السن والشباب، الصغير والكبير، يغرقون في أمواج الفتنة.

٣. الخوارج عيون الفتنة البشرية

كان الخوارج؛ (المارقين) هم رأس الفتنة البشرية (نفس المصدر، الخطبة ٩٣، ٩٨، ١٠٨، ١٥٨، ١٦٦)، وكانوا يُعتبرون المشكلة الأساسية للحكومة العلوية والمجتمع الإسلامي؛ لقد تحدث عنهم الامام كثيراً (انظر

١. تدل عبارة «عين الفتنة» على أن الإمام شبه الفتنة بالوحش الرهيب، فعندما يصاب بالعمى تنتزع منه قوة النشاط، ويظهر أن الإمام ذهب إلى بؤرة الفتنة وليس على أوراق الشجر (مكارم شيرازي، ١٣٨٦: ٤/٢٢٠؛ مطهري، ١٣٨١: ١٦/٣١٩).

الحسين (ع) قد خرج عن دين جدّه ولذا «قتل بسيف جده!» (ميلادي، ١٤١٤: ٢٣٨/٤) وبهذه الذريعة أثاروا الناس ضده. لو انفصل الباطل كلياً عن الحق لما اختفى طريق الحق عن طالبه، ولو لم يختفِ الحق بين الباطل لما استطاع الأعداء أن يشوهوه، لكنهم يأخذون جزءاً من الحق وجزءاً من الباطل ويخلطونهما ببعضهما. جميع الأباطيل والانحرافات تبدأ بسبب الالتفات للشبهات: «وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَائُهُمْ فِيهَا الْبَقِيَّةُ وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهَدْيِ وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى» (نهج البلاغة، الخطبة ٣٨). الفتن البشرية تُظهر الحق باطلاً من خلال التمسك بالشبهات والمبررات الخادعة (جعفري، ١٣٨٥: ٢٣٠/١٠)، مثل معاوية الذي استعمل قميصه الملوث بالدم وحرّض الناس ضد الحكومة الإسلامية، وكان أهل الجمل يتبعون قتلة عثمان في البصرة!!.

٢. استخدام الأدوات والشعارات المقدسة

لا يستطيع أهل الفتن التلفظ صراحة بكلماتهم الكاذبة والمضللة، لذلك يلجأون إلى أدوات وشعارات عرفية وجميلة، مثل الحرية والعدالة وحقوق الإنسان والسلام، وحتى بناء المسجد؛ وخير مثال على ذلك بناء مسجد ضرار: «وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا» (التوبة/١٠٧). فقد أمر الرسول بتخريبه وأمر أن يتحوّل ذلك المكان إلى منزلة (الطبرسي، ١٣٧٢: ١١٠/٥).

كما اشتبك الخوارج مع الحكومة العلوية بالشعار القرآني والمقدس «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ»، وقد ردّ عليهم الامام قائلاً: «كَلِمَةُ حَقِّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ» (نهج البلاغة، الخطبة ٤٠). كما أمر عمرو سعد جيشه صباح عاشوراء بجملة «يا خيل الله اركبي وابشري!» بمهاجمة معسكر الحسين (ع) (الشيخ المفيد، ١٤١٤: ٨٩/٢).

٣. تحريف الحقائق

تثير الفتن الركود والفشل في الحكم الإسلامي الصحيح، وقد أشار الإمام علي (ع) في الأيام الأولى لخلافته إلى هذا الواقع المرير، وحاطب الناس قائلاً: «أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٦)؛ في هذه العودة دُمرت

وتشتمل على البلاء والمصيبة والظلمات والضلال، وقد نجحت بالأدوات التي تمتلكها. إن الإثم المصاحب لهذه الفتن أشدّ وأعظم من إثم قتل النفس: «وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ» (البقرة/١٩١)؛ «وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» (البقرة/٢١٧).

أدوات الفتن البشرية لها أشكال عديدة؛ الفتن البشرية موجودة ولا تزال مستمرة بأوجه وألوان مختلفة. بهذا الوصف يجب حصر أدوات الفتن من أجل تحديد أسباب التغيير الاجتماعي؛ الأسباب التي من الممكن أن تشمل مجالات مختلفة. أدوات الفتن البشرية تستهدف أحياناً نطاق الثقافة ومعتقدات المجتمع وأحياناً الساحة السياسية. في بعض الأحيان يكون لها لون ورائحة الإصلاح وإعادة البناء، وأحياناً تتصرف في اتجاه التدمير. لذلك فإنّ أدوات الفتن البشرية من وجهة نظر الامام علي (ع) هي:

١. تغيير وجه الحق والباطل

أول أداة يلجأ إليها مثيرو الفتن هي الاستفادة من نقاب الباطل بدل إظهار وجه الحق. الفتن تُظهر الصديق على انه عدو والعدو على أنه متعاطف. هذه الحالة تضلل الآخرين ويصبح من الصعب جداً تمييز الحق عن الباطل؛ لأنّ الحق قد امتزج بالباطل. ومن أوضح الأمثلة البشرية على هذه الفتن البشرية بني أمية الذين حاولوا لسنوات تقديم صورة مقلوبة عن أمير المؤمنين (ع) من خلال إنكار فضائله. كان معاوية يرى أنّ سبّ ولعن علي يجب أن ينتشر حتى يكبر الأطفال على ذلك الشعار ويشيخ الشباب عليه، ولا ينقل أحدٌ فضيلةً عنه (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ٥٧/٤) حينما سُئل مروان بن الحكم عن سبب قيامه بذلك، قال: «لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك» (أميني، ١٩٦٧: ١٤٧/٧).

قام معاوية بإثارة مجموعة من الصحابة والتابعين (مثل أبو هريرة، عمرو بن العاص، المغيرة بن شعبه وعروة بن الزبير) ليقوموا بنقل أحاديث ضد الامام علي (ع) (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ٦٣/٤). في المقابل، ومن خلال اختلاق أحاديث كاذبة عن معاوية وعائلة أبي سفيان تم تقديمهم كرجال سياسة وأتقياء. لقد أشاعوا أنّ

يهدأ غبارها ولن تتضح الأجواء. (ضحايا فتنة بني أمية ومعاوية كان عليّ (ع) وواقعة كربلاء) وعلى الرغم من أنّ مثيري الفتنة أنفسهم سيتم تدميرهم لكن سيكون لها تأثير سلبي.

البدعة تعني البدع في العقيدة، أو العمل في مجال الدين دون الاستناد إلى المصادر الدينية (القرآن والسنة)، وهو ما يعبر عنه أيضاً بالتشريع في الدين (راغب اصفهاني، ١٤٠٤: ٣٩). حرمة البدع من مسلمّات الدين الإسلامي وضرورياته؛ بل إنّ البدعة في مجال المعتقدات تؤدي أحياناً إلى الكفر والشرك، مثل الاعتقاد بتجسد الله. وقد ورد الكثير من الروايات في استنكار البدعة، منها: «كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» (حرعالمي، ١٤١٤: ٣٣٥/٨؛ ١٧٥/١٤).

فالبدعة هي أحد الأدوات الهامة لمثيري الفتن. فبالانتقائية وخلط الدين بغير الدين يحاولون توجيه ضربة إلى كيان الإسلام. وقد اعتبر عليّ (ع) أنّ بداية ظهور الفتنة هي البدع: «إِنَّمَا بَدَأُ وَفُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ يَخْلَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِرْاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُتَرَدِّينَ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ وَمِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيَمْرَجَانِ!...» (نهج البلاغة، الخطبة ٥٠).

إنّ تاريخ الإسلام لاسيما القرنين الأول والثاني ملئ بالبدع العجيبة. فالحروب الداخلية التي كانت في معظمها دينية، وظهور الفرق المختلفة كلّ منها كان فتنة هدّدت حياة الأمة الإسلامية. يعود أصل هذه الفتن إلى أمرين رئيسيين: اتباع الهوى والبدع في دين الله. وقد استمر هذا الأمر بتلبس الحق ومزج الحق بالباطل. لأنّ الباطل ليس له مشرتي في أي مجتمع إذا كان خالصاً.

ومع تذكير الامام عليّ (عليه السلام) بالبدع التي تخلقها الفتنة البشرية، فقد عدّد بعض البدع وتحريفات الفتنة البشرية:

- وَأَخْرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَأَصْلَالٍ مِنْ ضَلَالٍ
- وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكَ مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وَقَوْلِ زُورٍ
- قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ آرَائِهِ وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَيَّ أَهْوَائِهِ

القيم الإسلامية، وحدثت قيم جاهلية فاسدة، ولم تنجح جهود الامام الخليفة لإعادة تعاليم الدين وعلاماته (نفس المرجع، الخطبة ١٣١) واجتثاث الفتنة بشكل كامل (نفس المصدر، الخطبة ٢٧). حتى عندما اقترحوا على الإمام قبول الخلافة قال: «دَعُونِي وَالتَّمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَتَّبِثُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَإِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ» (نفس المصدر، الخطبة ٩٢).

٤. كتمان الحقائق

إنّ أحد الوسائل الفعّالة للفتنة هي إبقاء الناس في حالة جهل؛ يقولون إنّ المجتمع متعدد الأصوات، لكنهم هم أنفسهم يصرخون بصوت عال بحيث لا يسمع أي صوت من قبل الناس، ونتيجة لذلك، يعيقون التطور الثقافي للناس ويبقونهم منشغلين بقضايا لا قيمة لها. عندما أثار طلحة والزبير (مع كتمان الحقائق) التمرد باسم المطالبة بدم عثمان كتب لهم الامام رسالة قال فيها: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا إِنِّي لَمْ أَرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي وَلَمْ أَبَاغِعْهُمْ حَتَّى بَاغَعُونِي... وَ قَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ فَبَيَّنِّي وَبَيَّنَكُمَا مَنْ كَتَلَفَ عَنِّي وَعَنَكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ يَلْزُمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ...» (نفس المصدر، الرسالة ٥٤).

فعلي (ع) متعجب من هذا الجهل ومن هذه الفئة التي تعيش حياة الجهل والموت في الضلال (نفس المصدر الخطبة ١٧). في مكان آخر اعتبر الامام أنّ سبب قلقه من معركة الجمل هو أنه برؤية زوجة النبي ﷺ والصرخات الكاذبة بدم الخليفة، فإنّ مجموعة من عوام الناس سيقعون في شكٍ وترديد وبيتعدون عن الحقيقة، «رَأَيْ امْرِئٍ كَتَلَفَ عَنِّي مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أَرَيْتُهُ لَمْ يُوَجِّسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْفَةَ عَلِيٍّ نَفْسِهِ بَلْ أَشَقَقَ مِنْ عُلْبِهِ الْجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلَالِ» (نفس المصدر، الخطبة ٤) وبما أنّ الانحراف عن المبادئ الأخلاقية الصحيحة يؤدي إلى تغيير القيم، إلى درجة أنّهم يعتبرون الخداع ذكاءً والالتزام بالعهد يُعتبر (نفس المصدر، الخطبة ٤١).

٥. تأسيس البدع

الفتنة البشرية تأخذ ضحايا وطالما أنّها لم تأخذ ضحية لن

٧. تحريف القيم والفضائل

عندما يواجه المجتمع الفتن البشرية يحدث تغيير اجتماعي وتغيير في القيم (مصطفوي، ١٣٦٨: ٢٤-٢٦). يُجرم المجتمع من قادة أكفاء. ويسيطر الظالمون على الضعفاء. وبهذه الطريقة تبدأ الغطرسة وتجتاح المجتمع موجة من التمرد. في الحالة الاجتماعية للفتنة، نواجه التغيير وعدم الاستقرار والشذوذ، بمعنى أنه لا يوجد شيء في المكان المناسب.

مثيروا الفتنه يجرمون المجتمع من القيم ويقودون الناس إلى تشويه القيم وتقويض الفضائل. مثل هذا المجتمع المفتون مصحوب بالفوضى والاضطراب والقلق، لذلك لن تنتهي أية حركة إيجابية وبناءة (حسامي، ١٣٨١: ٤٦). اعتبر الامام أنّ الشعب أحد نتائج الفتنه «أيها الناس إنّ أحقّ الناس بحدّ الأمر (الخلافه) أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه فإنّ شعّب فتنه) شاعبت استعيتب...» (نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣). يجب احترام ما هو سبب في تماسك المجتمع وخلق الوحدة، والذي هو نفس العمل بالقيم.

طرق مواجهة الفتنه البشرية

الفتنة البشرية تنشر مثل هذه الفوضى في جميع أنحاء المجتمع بحيث يصعب للغاية الهروب منها. في مثل هذه الظروف لا ينجو من هذه الفتنه إلا أولئك الذين إضافة لمعرفةهم بالفتنة البشرية، يتعلمون طرقاً لمواجهةها والتعامل معها. على أي حال من أجل مواجهة الفتنه يجب القيام بأمرين: أولاً الوقاية. هذه مهمة المسؤولين والواعين وجميع الناس المسؤولين والملتزمين بأن لا يقوموا بعمل من شأنه إثارة الفتنه. لا تعطوا الذريعة لمثيري الفتن والأعداء.

في المرحلة التالية، إذا حدثت الفتنه بأي شكل من الأشكال، فيجب التخلص منها وعلاج هذا المرض والإصابة، لكن لا بدّ من معرفة طريقة التعامل معها، بما في ذلك:

١. التمسك بالقرآن

لاشك أنّ القرآن الكريم مصباح مضيء للإنسان في طريق الظلمة والضلال، ودليله للنور والهداية، كتاب هو الهداية ومبعث السعادة. فالقرآن الكريم واحد من أهم

- يؤمن الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم يقول أقيف عند الشبهات وفيها وقع

- ويقول أعتزل البدع وبينها اضطجع

- فالصورة صورته إنسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيبته ولا باب العمى فيصد عنه وذلك ميت الأحياء! (نفس المصدر، الخطبة ٨٧).

بعد أن عدّد الامام البدع التي تستعملها الفتنه البشرية لحرف المجتمعات، اعتبر أنّ سبيل الحل والحماية هو اتباع السنّة، حيث قال: «و ما أحدثت بدعة إلاّ ترك بما سنّه فاتقوا البدع والرؤوا المهيع إن عوازم الأمور أفضلها وإنّ محدثاتها شرارها» (نفس المصدر، الخطبة ١٤٥ و ١٦٤).

٦. التشتت والترفقة

أحد العوامل التي تتحدى استقرار وتوازن المجتمع والحكومة هي الترفقة والتفكك الاجتماعي الناتج عن الفتنه. الترفقة والشقاق آفة تتسبب في تفكك سلسلة الوحدة والتفاهم والتضامن الوطني، وإهدار إمكانيات الأمة وقدراتها، وفي النهاية اهتار المجتمع والأنظمة السياسية المستقرة.

الشيطان وأتباعه يقضون على القيم الدينية واحدة تلو الأخرى من أجل إخراج الدين من المشهد، ويحدثون الفوضى والقلق في المجتمع: «إنّ الشيطان يستي لكم طرقة ويريد أن يخلّ دينكم عقده وعقده ويعطيكم بالجماعة الفرقة وبالفرقة الفتنه فاصدقوا عن نزغاته ونفقاته واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم واعقلوها على أنفسكم» (نفس المصدر، الخطبة ١٢١).

مثلما لا تستطيع أي سفينة أن تصل إلى الشاطئ في بحر هائج ومضطرب، فإنه لا يوجد أمان أو هدوء في مجتمع مليء بالفتنة.

وقد اعتبر أمير المؤمنين (ع) أن الاستماع للشيطان ووسوساته من العوامل الرئيسية للخلاف. إنّ الشيطان بأساليبه إضافة إلى إضعاف إيمان الأخوة الدينين، فإنه يزيد من تشتتهم بدلا من الوحدة والانسجام. لذلك يريد الامام أن تبتعد عن وساوس وهمزات الشيطان وخداعه (نهج البلاغة، الخطبة ١٢١).

أثناء ظهور الفتن. يحدّر الامام في الخطبة ١٨٧ بأن لا تدعوا إمامكم لوحده لأنكم في المستقبل ستلومون أنفسكم «وَلَا تَفْتَحُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ قَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا وَخَلُّوا قَصَدَ السَّبِيلِ لَهَا؛ فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهْيِهَا الْمُؤْمِنُ وَيَسْلُمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ. إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَجَّهَهَا، فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَخْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا».

الامام هو أسوة ومصدر استقرار الدين والسياسة، ويثبت العالم بواسطته. فالدور الذي يمكن أن يلعبه الامام والقائد في وأد الفتنة هو دور لا غنى عنه. فالقائد ريان سفينة المجتمع والأمة في بحر الأحداث المضطرب (محمّد الموتي، ١٣٨٩: ٢٣).

٤. المعرفة والبصيرة

البصيرة مثل شعلة مضيئة في ظلام الفتنة. لقد أظهرت الفتن البشرية أنّ طريقة التعامل معها يجب أن تكون من خلال البصيرة. البصيرة تعني الرؤية الصحيحة للمواقف والرفقة والغضب والمحبة، الانجذاب لفتنة أو الابتعاد عن فتنة، كلها تستند إلى الوعي والتفكير بالعواقب. وعلى ذلك يعتبر الامام الإنسان البصير مثل الرؤية حيث يسمع ويفكر بشكل صحيح، ثم يمكث فيها ببصيرة فيعتبر من الأحداث ويتخلص من الفتنة (نهج البلاغة، الخطبة ١٥٣).

معرفة الفتنة وأسبابها وطريقة الخروج منها ليست عمل أي شخص. البصيرة تحتاج إلى دقة وتوفيق إلهي حتى لا ينخدع - لا سمح الله - ويستبدل الحق بالباطل. فبدون العلم والدقة قد يتأذى من الفتنة ويظنّ أنه يقاوم من أجل الواجب والله. مثل طلحة والزبير والخوارج الذين ظنّوا مثل ذلك. الإنسان البصير يعلم أين يمدح وأين ينتقد، ويفهم أي شخص يجب أن يصادق، ومع أي شخص يجب أن يقطع علاقته. العمل بدون بصيرة يشبه السير في الضلال، فكلما تقدّمت بشكل أسرع، كلما ابتعدت عن الطريق والوجهة الأصلية. وعلى هذا الأساس قال الامام: «فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفُطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ» (نفس المصدر، الحكمة ٣١).

الأدوات والسبل لخلاص الإنسان من ظلمات الفتن. يقول الرسول ﷺ: «فَإِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ وَمَاجِلٌ مُصَدِّقٌ وَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ» (حرازمي، ١٤١٤: ١٧١/٦) عندما ارتفع غبار «الفتنة» والتهب المجتمع، أوصى قادة الإسلام المسلمين اللجوء إلى القرآن ليجدوا طريق الحق من خلال التدبّر فيه واتباعه، ويحفظوا أنفسهم من السقوط في متاهة «الفتنة»، ولا سيما أنّ هذا الأمر يطالعا في كافة أنحاء كتاب نهج البلاغة. جاء في الخطبة ١٧٦ من نهج البلاغة في وصف القرآن ما يلي: «مَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدًا إِلَّا قَامَ عَنْهُ بَرِيادُهُ أَوْ نُقْصَانُ زِيَادِهِ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمَى». الفتنة تغرق الإنسان في قلب مريض يجب البحث عن علاجه في القرآن.

وعليه فإن القرآن الكريم بالحجج القوية والبراهين الساطعة يزيل كل أنواع الشكوك والشبهات التي تعترض طريق المعتقدات والمعارف الحقيقية، وبالوعظ الشافية وما فيها من قصص وأمثال ووعد ووعيد، والإنذار والتبشير وما فيه من أحكام وشرائع، فإنه يزيل كل آفات القلب وانحرافات. وهذا هو السبب في أنّ القرآن يسمّى شفاء المؤمنين (الطباطبائي، د. تأ: ١٨٠/١٣).

٢. التوسل بسفينة النجاة

إنّ التوسل بسفينة النجاة بمعنى أتباع أهل بيت العصمة والطهارة؛ وقد اعتبر علي (ع) أنّ التمسك بسفينة النجاة في أمواج الفتن هو الطريق للتخلص من أخطارها (نفس المصدر، الخطبة ٥) «أيها الناس، اكسروا أمواج الفتن بسفينة النجاة» المقصود من سفينة النجاة (أهل بيت النبي)؛ كما قال الرسول: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق» (شيخ طوسي، ١٤١٤: ٦٠). جميع الفتن التي ظهرت في عصر الأئمة (ع) وبعده كانت بسبب الابتعاد عن الأئمة (ع) وطريقهم.

٣. اتباع القيادة الحقة

من أهم الطرق وأكثرها تأثيراً للخروج من ظروف الفتنة والتعامل معها، الرجوع إلى الامام الحق والقيادة الصالحة

من مخاطر هذه المجموعة وتحتب الوقوع في شركهم. على عليه السلام بصفته الشخصية الأكثر وعياً في هذه القضايا، أزال القناع عن وجوههم المخادعة من خلال تحديد مراكز الفتنة مثل معاوية وغيره. يقول: يا معاوية «أَرَدَيْتَ جِيلاً مِّنَ النَّاسِ كَثِيراً حَدَّعْتَهُمْ بِعَيْكَ وَالْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجٍ بَحْرِكِ تَعَشَاهُمْ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلَاطَمُ بِحِمِّ الشُّبُهَاتِ فَجَازُوا عَنَ وَجْهَتِهِمْ وَنَكَصُوا عَلَيَّ أَغْفَاجِيَهُمْ وَتَوَلَّوْا عَلَيَّ أَذْبَارِهِمْ وَعَوَّلُوا عَلَيَّ أَحْسَائِهِمْ...» (نهج البلاغة، الرسالة ٣٢).

الخاتمة والاستنتاجات

بحسب تعاليم نهج البلاغة وما تمّ بحثه عن الفتنة البشرية يمكن الحصول على النتائج التالية:

١. الفتنة البشرية تخلق الاضطراب، هدامة ومدمرة للقيم وتغيّر المسار الصحيح للناس.
٢. يمكن أن نفهم جيداً من كلام الامام أنه في حالة الفتنة البشرية، فإننا نواجه بيئة تعرضت للتغيير وعدم الاستقرار والشذوذ، ولم يتم وضع أي شيء في مكانه الصحيح.
٣. إنّ مثيري الفتن يأتون بألوان مختلفة ويلجأون إلى أساليب مختلفة لحرف الرأي العام.
٤. يستخدم مثيروا الفتن أساليب مثل الإساءة إلى المقدسات الدينية لتحقيق أهدافهم. غالباً ما ينخدع الساذجون بالاعيب هذه السياسة.
٥. أساليب ظهور الفتنة داخل الإنسان هي التعصب والإسراف، وخارجه قلة البصيرة والبعد عن قيادة المجتمع الإسلامي .
٦. من أجل التغلب على أجواء الفتنة الضبابية لابد من الوعي والتقوى والتماشي مع إمام المجتمع الاسلامي، والأهم من هذا كله البصيرة .

٧. تصرفات أصحاب البصيرة ثابتة ومواقفهم مدهشة ومنيرة. فهم لا يلججون في أمر قبل فحصه والتفكير فيه. وهكذا فإنّ الإنسان البصير يختار العمل الصالح بوعي وبصيرة ونور قلبي وإيمان، وينتهي بحزم وقرار

حاسم

في حين أنّه من الخصائص المعرفية الهامة لأصحاب الرسول ﷺ امتلاكهم لبصيرة عالية حيث قال في وصفهم: «حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَيَّ أَسْيَافِهِمْ» (نفس المصدر، الخطبة ١٥٠)؛ من ناحية أخرى، كان من أهم أسرار هزيمة الحكومة العلوية (ع)، استغلال الأعداء الداخليين والخارجيين لانعدام البصيرة لدى أنصاره وأتباعه.

٥. العمل على أساس قوة التقوى

إنّ السبب في كثرة الأخطاء والتباس الحق بالباطل عند الإنسان هو شهوات النفس وأهواءها التي تلوث العقل. في مثل هذه الحالة لا يكون الإنسان قادراً على تمييز الحق عن الباطل. في مثل هذه الحالات يحتاج الإنسان إلى أن يرى وأن يكون لديه فهم قوي واستنارة عميقة ونورانية استثنائية، ليتمكن بمساعدتها من العثور على رؤية حقيقية. هذه القوة القوية والثاقبة «التقوى» (طبيبي، ١٣٩٠: ٥٥). قال علي(ع): «وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ وَنُورًا مِنَ الظُّلُمِ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣).

٦. الوحدة بدل من الاختلاف

تؤدي الخلافات والانقسامات إلى تدمير أسس المجتمع (نفس المصدر، الخطبة ١٩٢). من ناحية أخرى، تعتمد القوة على الوحدة، ومن جهة أخرى تعتمد الوحدة على أمور مثل النظام والتنظيمات والمركزية، أو بعبارة أخرى ليس كل اتحاد ووحدة يمنح القوة، بل الوحدة المنظمة القائمة على المنظمات الحزبية التي يمكن أن تخلق القوة أو تركز القوة المشتتة وتضعها موضع الاستخدام (مطهري، ١٣٨٩: ١٠/٢٧٦). يعتبر الامام علي (ع) أنّ أحد طرق التعامل مع الفتنة البشرية هي المحافظة على الوحدة والابتعاد عن التشتت والاختلاف، ويدعو إلى الوحدة والتضامن (نهج البلاغة، الخطبة ٥).

٧. التنوير والوعي

من طرق مواجهة الفتنة البشرية التنوير بخصوص خصائص مثيري الفتن وطريقة عملهم. فالتنوير له قواعده الخاصة ويجب أن يتم ذلك من قبل العلماء والواعين، يجب ان يفضح وجوه المنافقين ومثيري الفتنة، حتى يفهم الناس طبيعتهم بشكل أفضل، وفي النتيجة يظلوا يقظين

طبرسي، فضل بن حسن (١٣٧٢ش). مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الثالثة. طهران: منشورات ناصر خسرو.

طبيبي، علي رضا و حسني، قدرت الله (١٣٩٠ش). الأسلوب الحضاري للمسلمين في مواجهة الفتنة ومحاربتها من وجهة نظر نصح البلاغة، معرفت، ش ١٦٧، صص ٤٧-٦٧.

طوسي، محمد بن حسن (١٤١٤ق). الامالي. قم: دار الثقافة للطباعة والنشر.

عروسى حويزي، عبد علي (١٤١٥ق). نور الثقلين، الطبعة الرابعة. قم: منشورات الإسماعيلية.

عميد، حسن (١٣٧٥ش). فرهنگ عميد، الطبعة السادسة. طهران: اميركبير.

فراهيدى، خليل بن احمد (د.تأ). كتاب العين، ٨ جلد، قم، هجرات للنشر.

مجلسي، محمد باقر (١٤٠٣ق). بحار الانوار. بيروت: مؤسسه الوفاء.

محمدى الموتى، محسن (١٣٨٩ش). سبل الخروج من الفتنة في المجتمع الإسلامي، معرفت، ش ١٥٧، صص ١٣-٢٧.

محمدى رى شهري، محمد (١٤٢٥ق). موسوعه الامام علي بن ابي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ، الطبعة الثانية. قم: دار الحديث.

مصطفوي، حسن (١٣٦٨ش). التحقيق في كلمات القرآن الكريم. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

مطهري، مرتضي (١٣٨١ش). مجموعه آثار، الطبعة الخامسة. طهران: صدرا.

_____ (١٣٨٩ش). ملاحظات الماجستير. طهران: صدرا.

مفيد، محمد بن محمد بن نعمان (١٤١٤ق). الارشاد، المطبعة الثانية. بيروت: مؤسسه آل البيت.

مكارم شيرازي، ناصر (١٣٧٤ش). تفسير نمونه. طهران: دار الكتب الاسلاميه.

_____ (١٣٨٦ش). پیام امام امير المؤمنين (ع)، الطبعة الثالثة. طهران: دار الكتب الاسلاميه.

ملكي ميانجي (١٣٨٠ش). دانش الرسالة امام علي (ع). طهران: معهد بحوث الثقافة والفكر الإسلامي.

ميلاني، سيد علي (١٤١٤ق). نفحات الازهار في خلاصه عقبات الانوار. مؤلف.

المصادر

القرآن المجيد

نصح البلاغة، إعداد الشريف الرضي (١٣٧٤ش). تصحيح صبحي صالح. قم: مؤسسة دار الهجرة.

ابن ابي الحديد (١٣٧٨ش). شرح نصح البلاغة، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم. دار احياء الكتب العربية.

ابن فارس، احمد (د. تأ). مقاييس اللغة. بيروت: دار الجليل.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٣٦٣ش). لسان العرب. قم: نشر ادب الحوزة.

الهامي، داود (١٣٧٤ش). الصحابة من منظور نصح البلاغة. قم: منشورات هجرت.

امين عاملي، سيد محسن (د. تأ). اعيان الشيعة. دار التعارف.

اميني، عبدالحسين (١٩٦٧م). الغدير، الطبعة الثالثة. بيروت: دارالكتاب العربي.

جعفري، محمد تقى (١٣٨٥ش). ترجمه و تفسير نصح البلاغة. طهران: مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

حر عاملي، محمد بن حسن (١٤١٤ق). وسائل الشيعة، الطبعة الثانية. قم: آل البيت.

حسامي، فاضل (١٣٨١ش). علم أمراض الدين في التقليد العلوي، معرفت، ش ٤٧، صص ٤٣-٥٩.

خويي، حبيب الله (١٣٨٠ق). منهاج البراعة في شرح نصح البلاغة، طهران، مكتبه الاسلاميه.

راغب اصفهاني، حسين (١٤٠٤ق). مفردات غريب القرآن، الطبعة الثانية. مكتب نشر الكتاب.

سيوطي، جلال الدين (١٤١٩ق). الاتقان في علوم القرآن. بيروت: دارالجيل.

شوشتري، محمد تقى (١٣٧٥ش). بهج الصباغ في شرح نصح البلاغة. طهران: منشورات اميركبير.

صديق، محمد بن علي (د. تأ). التوحيد، المصحح سيدهاشم حسيني طهراني. قم: جامعه مدرسين.

طباطبائي، سيد محمد حسين (١٤١٧ق). الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الخامسة. قم: جامعه مدرسين.

_____ (د.تأ). الميزان في تفسير القرآن، المترجم سيد محمدباقر موسوي همداني. قم: مكتب المطبوعات الاسلامية.